الخطاب النَّبوي من البنية إلى المقصديَّة.

The Prophetic Discourse From Structure to Purpose.

*صالح بوترعة

جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، (الجزائر)، Bouteraa05@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/07/09 تاريخ القبول: 2021/11/01 تاريخ النشر: 2021/12/25

ملخص: ممَّا لا شَكَّ فِيهِ أنَّ كُلَّ الخِطابَاتِ الإنسَانيّةِ خِطابَاتٌ مُعرَّضَةٌ لِأَنْ لا تُصِيبَ الهَدَفَ بِدقَّةٍ سَواء مِن حيثُ الأداءُ أو المعنى، إلَّا الخطابِ النَّبويَّ فَهُو خِطابٌ يتعالى في جمالهِ وتأثيرِهِ وإصابتهِ الهدفَ؛ إنّهُ خطابُ جوامعِ الكَلِمِ، خطابٌ تَوافرتْ فيه كلُّ الوسائلِ والأدواتِ الإقناعية المراعيَّة للمقاماتِ فكانتْ حُجَجُه لطيفةً راقيةً ينهارُ أمامَها الخصْمُ اقتناعًا، ويزيدُ من جلالها المؤمنُ إتباعًا، إنّهُ الخطابُ الهادفُ الَّذي لم تُنتجْ الإنسانيَّة مثيلاً لهُ.

وللكشفِ عنْ تمامِ آليّتِهِ الإقناعية التَّأثيريَّة الهادِفَةِ إلى تغييرِ المعتقدِ باختلافِ الزَّمانِ والمكانِ، جاءتْ هذهِ الدِّراسةُ لتبحثَ عنْ بعضِ الآلياتِ اللُّغويَّة المتناولة من طرفهِ ﷺ للوصولِ بالمتلقّي إلى الاقتناعِ، فتطرَّقتْ إلى السُّلَّم الحجاجِي والتَّمثيلِ له بالرَّابط "ثمَّ"، وإلى العامِل اللُّغوي تمثيلاً له بـ" لنْ" والرَّابط اللغوي "لكن".

كلمات مفتاحية: الحجاج؛ الخطاب النّبوي؛ الإقناع؛ السُّلم الحجاجي؛ العوامل والروابط اللغوية.

Abstract:

There is no doubt that all human speeches are doomed not to hit its target precisely whether in terms of performance or meaning, but the prophetic discourse is a speech that rises in its beauty, impact and attainment of its goal. It is the speech of words which are concise but comprehensive in meaning, A speech that involves all the means and tools of convincing that take into consideration every context. Its arguments are gentle, sublime collapse in front of which opponents end up convinced, and increases, with its glory, the commitment of its follower believer. it is a meaningful discourse that humanity have not produce anything like it. In order to discover the full extent of its effective persuasive tools, which aims at changing the belief according to time and place, this study came to look for some of the linguistic mechanisms dealt with by the Prophet (PBUH) to make the recipient convinced. It addresses the scale of argument we is exemplified with "then", the linguistic element represented with “will not”, and the linguistic coordinator "but".

Keywords: argumentation; Prophetic Discourse; Persuasion; argumentation scale,

*المؤلف المرسل: صالح بوترعة، الإيميل: Bouteraa05@gmail.

1. مقدمة :

لمَّا كان الإبلاغُ المهمّة الأساسيّة التي كُلِّف بها سيّد البشريَّة كان ضروريًّا إيصالَ الكلام للسَّامعين على أحسن صورة بما به يكون الإفهام والإقناع، فكان لِزاما لخطابه ﷺ أنْ يكون أكثر فصاحة ودقَّة في الدَّعوة إلى الإسلام. لهذا جاء خطابه حجاجيًّا بامتياز؛ لأنّه جاء إرساءً لدعائم الحقّ، وتتمَّة لمكارم الأخلاق، ونصرة للمظلوم، وردعا للظَّالم، ...إلى غير ذلك من الأعمال الصَّالحة. إلاّ أنّ القضيَّة الأساسْ، هي تغيير المعتقد من عبادة الأصنام إلى عبادة الواحد الفرد الصّمد، وفي ذلك كلِّه يقدِّم النبي ﷺ حججا داعمة.

ولـمّا كانت الرِّسالة دائمة مستمرة من بعده ﷺ، وهو الَّذي يعلم بأنَّ خطابه سيتداولهُ المؤمنون من بعده كما نطق به_ اتسمت أقواله عبر القرون بالقوة الإقناعية فكان أفصح خطاب بعد كلام الله تعالى-. ولا يمكن لأيّ خطاب أن يكون ذا قوة انجازيَّه؛ أيْ تأثيريَّة إلاَّ إذا توافرت فيه المادة اللُّغوية التي تصيب المقصديَّة بأسلوب دقيق تملأ فكر المتلقي وتُذهب عنه كلَّ ما يمنعها من الاستقرار في وعيه. لهذا تحاول هذه الدِّراسة الكشف عن الآليات اللغوية المتناولة من طرفه ﷺ للوصول بالمتلقي إلى الاقتناع.

2. الآليات اللغوية الحجاجية.

2. 1 السُّلم الحجاجي.

انطلاقا من أنَّ الحجاج غايةُ كلّ ملقٍ للخطاب- بما أنّه يسعى لإقناع المتلقي والتَّأثير فيه لإذعانه وإخضاعه لتوجه ما- فهو بهذه الغاية الكُبرى المتمثِّلة في تغيير الذِّهنية، وتوجيه السُّلوك في الفرد والمجتمع لابُدَّ له من الاتِّكاء على آلياتٍ مساعدة للوصول إلى هذا المبتغى، ومن بين أهمِّ هذه الآليات السُّلم الحجاجي. الذي يُمكن اعتباره أهمَّ آليات البرهنة على ما نريد للوصول إلى النتيجة المرجوّة، التي هي« القول الضِّمني أو الصَّريح الذي أُستخدمت من أجله الحجة »[1] . إنَّ النّاظر في تسميَّة هذه الآلية المعتمدة في الإقناع بـ:"السُّلم الحجاجي" يفهم أنَّ الحجاج يتنامى من درجة إلى أخرى حتى يصل بصاحبه إلى الهدف/ النتيجة.

السُّلم الحجاجي وسيلة لغوية، مبنية بالحجج التي يستخدمها المتكلم للوصول إلى هدفه الذي هو إقناع المتلقي والتَّأثير فيه بخطوات ثابتة متسلسلة، بدءا بالحجة الأولى التي يمكن تسميتها بالحجة الأرضية الممهِّدة للصعود بحجج ثابتة، إلى أن يصل إلى الغاية، أو النتيجة (ن). ولن يتأتى هذا الصُّعود، ولن يستوي السُّلم على سوقه ويشتد، إلاَّ إذا استوفى شرطين:« كل قول يقع في مرتبة ما من السُّلم، يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تُلزم من القول الموجود في الطَّرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى. إنّ كل قول في السُّلم كان دليلا على مدلول معين كان يعلوه مرتبة دليلا أقوى» [2] .

والسُّلمية هي التي تجعل من الحجج ـ عند ديكرو ـ بمختلف أنواعها تَعرف تَراتُبًا معينا، يكون متسلسلا في الدَّرجة بحيث يكون الحُكم، أو الاختيار من قِبل المعني مؤسَّسيْن على درجة القوّة، أو الضَّعف، وليس الصِّدق أو الكذب. وهذا هو الذي يعطي الحجج معنى السُّلميّة التي عبَّر عنها في كتاب بعنوان:" السَّلالم الحجاجية " [3] .

إنَّ هذا الترتيب يمفصل جملة من الحجج عن بعضها البعض في أقسام جزئية، لكنْ دون فصلها عن النَّتيجة، وهذا التَّمفصل يُعرف في الدَّرس الحجاجي بالقِسم الحجاجي الذي هو« مُحدد بالنسبة إلى مفهوم النتيجة من ناحية والمتكلم من ناحية أخرى، فإذا انتمى قولان أو أكثر إلى باب حجاجي واحد، فذلك يعني أنهما يمكِّنان من خدمة النتيجة نفسِها، ويمثِّلان اختيار متكلم واحد» [4] .

فالقِسم الحجاجي حُزمة من حجج متفاوتة في الإقناع، تخدم نتيجة واحدة، تتراتب حسب القوة وبهذا يرى **موشلار وريبول Moschler et Reboul** ، أنّ الرتبة من حيث القوةُ، والضَّعفُ هي التي تحكم الحجج المنتمية إلى القِسم الواحد« إنّ الحجج التي تنتمي إلى قِسمٍ حجاجيٍ واحدٍ إنَّما تحكمها علاقة الرُّتبة بعضها قويٌّ، وبعضها ضعيف» [5] . وحتى تتمايز السَّلالم الحجاجية بعضُها عن بعض، لابُدّ من قراءة المكوّنات اللّغوية التي تتحقق عبرها الحجاجية وهذه المكونات نوعان:«

- ما يقوم بالرّبط بين الأقوال من عناصر نحوية مثل: أدوات الاستئناف الواو، الفاء، لكن إذن...الخ. وهو ما يعرف بالرّوابط الحجاجية.
- أمّا النّوع الثّاني: فهو العوامل الحجاجيّة، ويكون في القول الواحد، ومنه أدوات الحصر والاستثناء، والشّرط، النّفي، الإضافة، الظرفية "الزمانية والمكانية» [6].

من هنا يُفهم أنّ الرّوابط لها قيمة سُلَّميَة في ترتيب الحجج فيما بينها من جهة، ولها قيمة توجيهيّة من جهة أخرى. أمّا العوامل الحجاجيّة فغايتها حصُر القيمة الحجاجيّة؛ أي توجيه القول إلى جهة معيّنة دون سواها.

وفيما يلي سنحاول من خلال الحديث النّبوي وعبر السُّلم الحجاجي أنْ نُبيّن أفضل الأعمال عند الله، ممثلين بالرّابط" ثمّ" المفيد للعطف مع التراخي، وعليه فالسُّلمية متوحدة ومتفقة في أنّ الأعمال المذكورة كلّها مفضلة عند الله، ولكنْ في درجات.

عن أبي عمرو الشيباني قال: حدّثنا صاحبُ هذه الدار- وأومأ بيده إلى دار عبد الله- قال: سألت رسول الله ﷺ: أيُّ العمل أحبُّ إلى الله عزّ وجلّ؟ قال: «الصّلاة على وقتها». قلت: ثم أيُّ؟ قال: «ثم برُّ الوالدين». قلت ثم أيُّ؟. قال: « ثم الجهاد في سبيل الله»[7].

السُّلم الحجاجي في هذا الحديث يمكن التمثيل له بالمخطط الاتي:

النتيجة (ن) أفضل الأعمال عند الله= الرضا عن العبد.

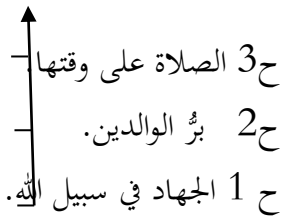

إنّ النَّظرة المحمديَّة نظرةٌ عامة، تغطّي جميع الأحوال المصاحبة لحياة الفرد في مختلف الأزمنة والأمكنة. وفي هذا الخطاب أخذ التّكرار ـ تكرر العمل ـ دورا مهمّا في عملية بناء السُّلمية الحجاجية. فجاءت الصّلاة الأفضل عند الله؛ لأنّها العبادة الملازمة للعبد في كلّ الأحوال، في الخوف والأمن؛ (السِّلم /الحرب). قال تعالى:﴿**وَإذا كُنْتَ فِيهِم فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلوةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ و أَسْلِحَتَهُمْ**﴾[8].كما تكون الصّلاة تقصيرا وتتمَّة، لقوله تعالى:﴿ **وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلُوةِ** ﴾[9].كما أنها تُؤدّى قِيَّاما وقُعودا:﴿**الَّذِيْنَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ** ﴾[10].فهي الأفضل إذا؛ لأنَّها من الأعمال التي تحتاج الصَّبر قال تعالى: ﴿ **وَأمرْ أَهْلَكَ بِالصَّلوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها** ﴾[11].

ثم يأتي برّ الوالدين ثانيا؛ لأنّ فيه صبر، وملازمة لهما بالرعاية والإشفاق والنفقة عليهما، خاصة عند بلوغهما الكبر، والبرّ من الأعمال التي يحبها الله لذلك قرنه الله بعبادته وشكره بالإحسان إليهما. قال تعالى:﴿**وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا**﴾[12]. **وقوله تعالى في العبادة مع الإحسان:{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوَاْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا** ﴾[13]. وجاء برّ الوالدين قبْل الجهاد لأنّهما أحقُّ بأبنائهما من غيرهم. عن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ ليستأذنه في الجهاد

فقال:« أحيٌّ والداك؟». قال: نعم. قال: « ففيهما فجاهد»[14]. ثم أن برّ الوالدين واجب، ولا رخصة في عصيانهما والتَّنكر لجميلهما، حتّى وإن جاهدنا على معصيّة الله.

قال تعالى:﴿**وَإِنْ جَـهَدَكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الْدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾[15].أمّا الجهاد ففيه رخص منها: انعدام موجباته؛ كتوفر العدل، وجود ما يمنع الفرد القيام به كالإعاقة ورعاية الوالدين ...الخ لذلك أُخِّر. والمؤسِف في زماننا أننا حصرنا الجهاد في القتل دون سواه من الأعمال. متناسين أن طلب الرزق جهاد، وطلب العلم جهاد، ونشر التعاليم السّمحة جهاد ورعاية الأرامل والأيتام جهاد...إلخ.

2. 2 الرَّوابط الحجاجيَّة.

هي حلقات لغوية تعمل على ربط الوحدات اللُّغوية في سلسلة خطابية حجاجية، لتمرير قصد المحاجج في تغليب قول على آخر، من أجل توجيه القول إلى نتيجة ما. وأدوار هذه الروابط مختلفة باختلاف أنواعها فمنها:[16]

الرّوابط المدرجة للحجج :(حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن ...).

أ- الرّوابط المدرجة للنتائج :(إذن، هذا، بالتالي...).

ب- الرّوابط التي تدرج حججا قويّة: (حتى، بل، لكن ...).

ت- روابط التعارض الحجاجي :(لكن، مع ذلك).

ث- روابط التّساوق الحجاجي: (حتى، لاسيما).

ومهما يكن من التّداخل بين هذه الرّوابط في أداء الأدوار، فهي تبقى من أهمِّ» التقنيات التي تتيح للخطيب سلاسة انقياد السّامعين إلى حيث يريد أن يقودهم» [17]. والملاحظ كذلك على هذه الرّوابط أنّها تَعمُّ العمليّة التواصليّة الحجاجيّة، فهي الكفيلة بربط « قولين أو أكثر داخلين في استراتيجية حجاجية واحدة، بحيث تسمح بالرّبط بين المتغيرات الحجاجية... وعموما فإنّ العلاقة بين الحجّة والنتيجة ليست اعتباطيّة، بل هي ناتجة عن توجيه تحكمُه المشيرات اللغوية الحجاجية»[18].

إنّ الرّوابط في اللِّسان العربي ذات أهميّة بالغة في توجيه الحجج إلى النتائج (الأحكام)، لذلك اهتمَّ بها الدّرس الأصولي بالخصوص أشدَّ الاهتمام، ومن هذه الرّوابط حروف العطف التي هي« روابط قضوية وصلية تستخدم في وصل الجمل فيما بينها، كما يُشكِّل بعضها قضايا تشترك في تعليق الحكم بأحد المذكورين» [19]. وهذا ما سنحاول إظهاره من خلال الرّابط (لكن).

ـ لكن: تعمل عمل "بل"، لهذا يوردها أكثر التّداولين في الرّوابط الحجاجيّة التعارضيّة، فهي تعمل عملين في الآنِ نفسِهِ، نفي وإثباتٌ ذهابا إلى الرُّكن الثَّاني من الجملة، وإيّابا إلى الرّكن الأوّل كونها تتوسط فعلين. إذن هي الحَكَمُ بينهما« لِما فيها من نفي وإثبات لغيره، فهي تتوسط بين كلامين متغايرين نفيا وإيجابا، يستدرك بها النّفي بالإيجاب والإيجاب بالنّفي» [20].

فالدّرس التّداولي بإمكانه إبراز التّعارض من التوافق بالنّظر إلى وضعية المتخاطبين، وكذلك تركيب الجملة من تقديم وتأخير. وعموم القول« فالتلفظ بأقوال من نمط " أ لكن ب " يستلزم أمرين اثنين:

1- أن المتكلم " أ وب " باعتبارهما حجتّين، الحجّة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة "ن"، والحجّة الثّانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها؛ أي "لا. ن".

2- أن المتكلِّم يقدم الحجّة الثّانية باعتبارها الحجّة الأقوى، وباعتبارها تُوجِّه القول، أو الخطاب برمتِّه »[21].

إنَّ المعنى الذي تفيده "لكن" في التركيب تتضمنه في ذاتها؛ أي في بنيتها اللغوية «فهي كلمة استدراك تتضمن ثلاثة معانٍ منها "لا" و" الكاف" بعدها مخاطبة و"النون" بعد الكاف بمنزلة "إنّ" الخفيفة أو الثّقيلة، إلاّ أنّ الهمزة حُذفت منها استثقالا لاجتماع ثلاثة معانٍ في كلمة واحدة فـ "لا" تنفي خبرا متقدما و"إنّ" تثبت خبرا متأخرا »[22].

والرّوابط الحجاجيّة على اختلاف أنواعها، تقوم على ربط الحجج لتوجيه قولٍ ما إلى النتيجة المعينة سلفا في ذهن المخاطِب، ومن الرّوابط التي تشترك في هذا النوع نمثِّل لذلك بـ: الرّابط ـ لكن. الذي أورده الرسول ﷺ في هذا الحديث:

عن وائل الحضرمي أنّ طارق بن سويد الجعفي سأل النبي ﷺ عن الخمر، فنهاه أو كرِهَ أنْ يصنعها فقال: إنَّما أصنعها للدّواء. فقال ﷺ : «إنّه ليس بدواء ولكنّه داء»[23].

حتّى لا يحتجَّ الإنسان وينخدع بما يُقال، ويُروَّج عن علاج الخمر لبعض من الأمراض، فيرخِّص لنفسه عصرها ونقلها، وبيعها، وشربها. عارض الخطابُ النَّبويُ هذا الأمرَ بصريح القولِ، فأكَّد نفي الدَّواءِ عنه وعارضَ هذه الميزةَ (الدّواء) المتُوهّمة عند أحد صانعيها باستعمال "لكن" المؤكِّدَة للحجة التّعارضية. فالسّائل طارق بن سويد الجعفي أراد الترخيص له. بحصر الهدف من الصناعة فيما هو نبيل ومشروع "للدّواء" لا غير. إلاّ أنّ رسول الله ﷺ لم يكتفِ بالنّفي المؤكَّدِ «إنّه ليس بدواء»؛ لأنّ ذلك قد يجعل المتلقي يتوهّم أنّه لا يضرّ فيكون ككثير من المشروبات التي يشربها الإنسان، وليست بدواء كالمشروبات الغازيّة، والعصائر بمختلف أنواعها. فاستدرك هذا النّفي، بإثبات الدّاء له، فأتى بـ"لكن" التي جاءت كحجة قويّة تنفي السّابق، وتؤكِّد اللاّحق من مقتضى القول، مع استعمال طباق الإيجاب بين كلمتي (دواء ≠ داء). فدفعُ المفسدة والمضرّة أولى من جلب المصلحة والمنفعة. ويمكن التّمثيل للخطاب كالآتي:

- الخمر ← (ن) حرام/ داء (معطى).
- الخمر ← (لا – ن) حلال / دواء "رغبة الصانع . الضرورة".
- ليس دواء ← (لا – ن)، نفي النفي = إثبات ← حرام.
- لكنّه داء ← (ن) تأكيد الإثبات.

ونفي الدّواء عنه أثبته الطِّب الحديث، فتناوله يؤدي إلى نقص في البوتاسيووم المؤدي إلى شلل العضلات وفي نقص الكالسيوم المؤدي للضعف العام، ونقصٌ في المغنزيوم المؤدي إلى اضطرابات عصبية، وخلل في نظم القلب، وفي نقص الزّنك المؤدي إلى خلل في وظيفة الخصية، وكلما زاد مستواه في الجسم زاد خطره فبدءا من:

(20 إلى90ملغ%) المُسبِّب في تغيير المزاج، وعدم التوازن في العضلات، واضطرابات الحسّ، ومرورا باضطراب في القوى العقلية في مستوى (100-199 ملغ %)، وقد ينتهي بشاربها إلى الموت في مستوى (300-399 ملغ%) هذا فيما يخص الصَّحة عامة.

أمَّا على مستوى الجهاز الهضمي، فهو مسبِّب لسرطان اللِّسان والمريء، والمعدة، ويسمِّم الكبد. وفيما يخص القلب فيؤدي به إلى داء **البري بري Beri Beri** المسترخي للقلب، والذبحة الصّدرية. وفيما يخص الجهاز العصبي فهو يؤدي إلى التهابات الأغشية السحائية وإصابة الجهاز العصبي، واللَّقوة (الشَّلل الوجهي)، وإصابة العصب الوركي وآلام الطرفين، الهذيان الارتعاشي،

أمَّا فيما يتعلق بالحالة النفسيّة فيعمل على كثرة الوسوسة والشكوك والهلوسة وفقدان التركيز، وفيما يخص الجهاز التناسلي فيؤدي شيئا فشيئا إلى العجز التّام [24]. هذه حال الخمر قد أتى على الصّحة بكاملها، فأين موضع علاجه؟!

2 .3 العوامل الحجاجية.

إن تسميّة هذه الآلية اللغوية بـ"العوامل الحجاجية" تعطيها الفاعلية في توجيه الحجاج إلى نتيجة ما والفَعاليَّة في إقناع المتلقي على اختلاف أقسامها، فضلا عن كونها « تربط بين مكونات القول الواحد كالحصر، والنفي والشرط... ووظيفتها هي حصر الإمكانات الحجاجية **potentialités** لمحتوى الملفوظات وتحويلها»[25].وبالنظر إلى غاية كل خطاب، ألا وهي التأثير سواء أكان مباشرا أم غير مباشر (بالنظر إلى الحضور والغياب زمن التخاطب)، فإن العنصر المساعد هو الأدوات اللغوية التي هي محرِّك رئيس من ضمن المحرِّكات التي تقوم عليها عملية التّخاطب [26].

ومن هذا الاعتبار الذي تملكه العوامل الحجاجيَّة في الدورة التواصلية التخاطبية كونُها المحرِّك الرّئيس الذي من دونه تفشل العمليّة التواصليّة، هذا إن لم تتوقف فوجود« بعض هذه الصرافم في بعض الجمل، يعطيها توجيها حجاجيا للوصول إلى نتيجة محددة دون غيرها»[27]. من خلال هذا الطرح تتأكد عندنا حجاجية اللغة في ذاتها، وأن هذه الوظيفة (الحجاجية) أسبق من الوظيفة الإعلامية أو الإبلاغية.

فالإقناع في القول إذن يعود إلى الوحدة اللِّسانية في ذاتها (رصف حروف المباني مع بعضها البعض لتكوين الوحدة المعجمية)، لا إلى العوامل الأخرى الخارجة عن اللغة، وهذا ما جعل ديكرو واسكومبر يعتبران الحجاج بنيويا و« القيمة الحجاجية للملفوظ ليست نتيجة لمداه الإبلاغي، لكن الجملة تكون حاملة لصرافم أو تعابير أو موجهات، إضافة إلى محتواها الإبلاغي تصلح لإعطاء وجهة حجاجية للملفوظ تجعل المتقبل في اتجاه من الاتجاهات »[28].

إنّ المتتبّع للدَّرس الحجاجي في جانب عوامله يجده يتطرق إلى أدوات النفي، القصر، الاستثناء، والشرط لكونها توجه الخطاب إلى نتيجة أو مفهوم واحد لا غير. أمَّا نحن في دراستنا هذه سنتطرق إلى عامل النفي (لن).

النفي: للنفي حروف أهمُّها :(لا، لن، لم، ما، لما) منها ما يختص بالماضي، ومنها ما يختص بالحاضر والمستقبل كما أنّ النفي يفهم ويحضر في تركيب ما من دون ذكر لإحدى أدواته، ويكون ذلك بالاعتماد على السيّاق المقامي للخطاب. وما يهمُّنا (لن) التي تختص بنفي

حدث سيقع في المستقبل وصورتها:(لن يَفْعــلَ).

فالنّفي كعامل حجاجي يعمل على إخلاء ذهن المتلقي من أمرٍ ما، سواء كان سلبا أم إيجابا حسب مقصدية الملقي كما هو عند المناطقة» العامل الذي يحول القضية الصحيحة إلى قضية خاطئة، والخاطئة إلى صحيحة وهو عامل أحادي **opérateur unitaire**» [29].

أمَّا عند اللغويين« يكون على حسب الإيجاب لأنه إكذاب له، فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما إلا أن أحدهما نفي والآخر إيجاب» [30]. في حين نجد شكري المبخوت يحدد النفي في ثلاثة ضروب:

1) **النفي الوصفي**: يكون تمثيلا لحالة الأشياء في الكون، دون أن يقدمه قائله على أنه يعارض قولا آخر.
2) **النفي الجدلي**: هو الذي يعارض فيه المتكلم رأيا معاكسا لرأيه، صاغه المخاطب صياغة إثباتية.

3) **النفي الميتا لغوي**: وهو قول منفي يهاجم متكلما له خاصيتان: يبطل المقتضيات وإعلاء الصفة [31].

ومهما يكن من وجود تعدد في صور النفي، إلاّ أنَّ بؤرته ونواته تعمل على إخراج محتوى القول المثبت وإفراغه من الشُّحنة الإيجابية، وإدخاله في القوة السِّلبية المنفيَّة. كما قد يكون النَّفي لغير الإكذاب؛ أي أنَّ المتكلم لا يأتي به لأجل ردّ إثبات القائل لفعلٍ ما. وإنَّما يأتني به لشيء منفيٍّ نفيا مخصوصا أي مقيَّدا. والمراد منه النفي على عمومه؛ أي مطلقا« وهذا من أساليب العرب يقصدون به المبالغة في النفي وتأكيده كقولهم: فلان لا يُرجى خيره، ليس المراد أنَّ فيه خيرا لا يُرجى، وغرضهم أنَّه لا خير فيه على وجه من الوجوه» [32].

ومن خلال هذا الطّرح نرى وبكلِّ بساطة أنَّ العوامل الحجاجية، والرّوابط تُوجِّه الملفوظ اللّغوي داخل المترابط اللِّساني، أو الخطيّة المعجميّة لحمل حجّة ما للتأثير بها في المتلقي، فهي تعمل ضمن السِّياق المقالي شأنها شأن المقام الذي يحصر عملية التَّأويل المفتوح في معنى واحد«وذلك بنقل المتقبل من التعدد والغموض، إلى وحدة النتيجة والمقصد من الملفوظ، فلا يضيع بين النتائج التي يؤدي إليها القول الحجة فلا تتعدد بذلك المسائل التأويلية **les chemins iterpretatifs** فيعمد العامل الحجاجي إلى حصرها حتى تقود إلى نتيجة واحدة » **33** . وعليه نقول: إنَّ الرّوابط والعوامل الحجاجية تُراعي المعجم اللُّغوي الحامل لقوَّة التَّأثير الحجاجي من بناء وإيصال، وتوكيد، ونفي...الخ، وكلُّ ذلك في سُبَات إلى أن يُحيها التّداول والاستعمال.

الخطاب النَّبوي حجة على حجة قائله، يُوجِّه به النبي (صلى الله عليه وسلم) المتلقي حيث المنفعة، فجاء خطابه مبنيا بعدة عوامل توجيهية من أهمها:

النفي بـ " لن ".

عن أبي بكرة قال: لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ أيّام الجَمل، بعدما كِدِّت أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم قال: لمّا بلغ رسول الله ﷺ أنّ أهل فارس قد ملّكوا عليهم بنت كسرى، قال: «لن يفلح قوم ولُّوا أمرهم امرأة» [34].

نظرا لصعوبة الإمارة ومشقتها، مما تحتاجه إليه من حكمة ودهاء. جُعلت للرجل دون المرأة. ففي مثل هذه المهام الرجل أولى وأنسب لأنْ يتولاها، ولتأكيد هذا الأمر، نفى ﷺ النجاح (الفلاح) عمَّنْ ولَّوا أمورهم امرأة، فيكون مآلهم الخسران الأكيد. فالنفي عمل على إخلاء أيِّ توهم بالنَّجاح تحت إمارة المرأة، في أي زمان ومكان بدلالة زمن الفعل المنفي" لا يفلح"، الذي يقتضي الاستمرارية المستقبلية. ويمكن التمثيل لهذا الخطاب بالمخطط الآتي:

قانون المرور

- المعطـــى ← النتيجة.
- المرأة ← الخسران "عدم الفلاح".

تولي الإمارة

فالعامل الحجاجي "لن" أتى بقيَّم هي:

ـ عمل على إخلاء ذهن المتلقي من توهم النجاح تحت إمارة المرأة.

ـ عمل على إثبات الخسران لأي قوم ولُّوا أمرهم امرأة.

ـ جعل المتلقي" لمجتمعات" يستبعدون إمارة المرأة في أي زمان ومكان.

إذا كان الرسول ﷺ نفى الفلاح عمَّنْ ولَّى أمره امرأة، فهذا لا يعني أنّ الرجال كلَّهم على استطاعة تولي أمور المسلمين وبخاصة المشرك، عن عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) أنها قالت خرج رسول الله ﷺ قِبل بدر، فلما كان بحرَّة الوبرة أدركه رجل قد كان يُذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين رأوه فلمَّا أدركه، قال لرسول الله ﷺ: جئت لأتَّبِعك وأصيب معك. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):« تؤمن بالله ورسوله ؟». قال: لا. قال:« فارجع لن أستعين بمشرك » قالت: ثم مضى حتى إذا كُنَّا بالشجرة أدركه الرجل، فقال له كما قال أوَّل مرّة. فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) كما قال أوّل مرّة. قال: «فارجع فلن أستعين بمشرك». قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء فقال له كما قال أوّل مرّة: «تؤمن بالله ورسوله». قال: نعم. فقال له رسول الله ﷺ: «فانطلق»[35]

هذا الخطاب يرفض الاستعانة بالمشركين، فمن فعل فهو فاسد الحكم، لأنّه لا يستعين بالمشرك إلا المشرك. فالإعراض عنهم واجب حتى ولو كان ضدّ المشركين أنفسهم، فكيف يجوز الاستعانة بهم ضد المسلمين كما نراه اليوم في الاستعانة بهم من طرف حكام المسلمين في صورة (بريطانيا، أمريكا، فرنسا...) ضد المسلمين بلادا وعبادا وعقيدة كما هو جار في العراق وسوريا وأفغانستان، وليبيا، وفلسطين، واليمن والقائمة مفتوحة ـ لا قدّر الله ـ

إنّ منطلق الاستعانة لهؤلاء الحكام بالمشركين كان لإعجابهم بالقوة الممتلكة (قوة السِّلاح)، دون الاعتبار للقوة الإيمانية؛ الإيمان بالله ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، وهذا أكبر ضعف في حكام المسلمين. يعمهون على رؤية قوتهم ويرون بدلها الضعف ويرون في غيرهم القوة وهم ضعاف!

إنّ الرسولﷺ ما ترك مجالا للاستعانة بالمشركين، حتى وإن توفرت لهم الجرأة والقوة، وكل ما من شأنه أن يكون سببا مباشرا، وعاملا مُهمّا في حسم المعركة ضد العدو، ما لم يكن مؤمنا حتى وإن كانت الحاجة إليه ماسّة. وللاختصار والتوضيح نمثل للخطاب بما يلي:

قانون المرور.

المعطـــى ← النتيجة.

عند غير المسلم. المنفعة ← القوة ← الانتصار.

عند المسلم. موجبات الجهاد ←الإسلام +القدرة على الجهاد ← الانتصار إن شاء الله.

وعليه تكون القيمة الحجاجية في الخطاب المنفي **بـ "لن"** في ضرورة:

- الإعراض عن المشركين.
- الانتهاء عن صحبتهم وملازمتهم.
- ترك الاستعانة بهم، وهو ما يُؤكِّد عدم جواز ما نقوم به اليوم ضد إخواننا.

3. خاتمة: من خلال ما سبق اتضح لنا أن:

ـ السُّلَّم الحجاجي في الخطاب النّبوي يمتلك قوّة إذعانية كبيرة، كونه يتنامى بحجج متماسكة، اللّاحق منها أقوى من السابقة وكلّما زاد السُّلَّم ارتقاء، زاد بالمتلقي إذعانا وإخضاعا.

ـ الرّوابط والعوامل الحجاجية عملت على تجاوز الدّرس البنيوي الصّارم في محيطه اللغوي، إلى العالم الخارجي غير اللغوي، وكان حضورها سببا مباشرا في كسر الحدود البنيوية المغلقة على ذاتها، لتجعلها تنفتح على العالم الخارجي وذلك بنقل الأغراض والمقاصد من المرسل إلى المتلقي، ولم تبق دورها في بناء وتنظيم النص فحسب. وهذا ما جعل الخطاب النبوي خطابا يتجاوز حدود الزمان والمكان.

ـ الرّوابط والعوامل اللغوية التي اختارها الرسول ﷺ أبانت على القدرة في تسييق النص وتحجيجه.

ـ الرّوابط والعوامل أبانت على القدرة في توجيه الخطاب توجيها موافقا لمقصديته ﷺ فلا تعارض بين خطاباته باختلاف متلقيه. حيث عملت على حصر أفق تأويل المتلقي في معنى واحد.

4. قائمة المراجع:

القرآن الكريم.

1. أحمد كروم، الاستدلال في معاني الحروف دراسة في اللغة والأصول، دار الكتب العلمية، بيروت ط1 ،2009،
2. أحمد مصطفى متولي، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1 ،2005.
3. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، ط1 ،2006،
4. جاك موشلر- آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر مجموعة من الأساتذة، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، ط 2 2010،
5. الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، مختصر صحيح المسلم، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 2007.
6. حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان الأردن، ط 1 ،2014.
7. أبو الحسن علي بن عيسى الرُّماني، معاني الحروف، تح وتع، الشيخ عرفان بن سليم العشا حسُّونة المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2005.
8. حسين بن عودة العوايشة، شرح صحيح المفرد للإمام البخاري، المكتبة الإسلامية، دار بن حزم عمان ط1، 2003.
9. طه عبد الرحمان، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2000.
10. عبد الله صولة نظريات في الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، ط1، 2011.
11. عزالدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، دار نهى صفاقس، تونس، ط1 ،2011.
12. محمد سالم محمد الأمين الطبلة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب، بيروت، 2008.

5. قائمة الإحالات:

1 -جاك موشلر- آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر مجموعة من الأساتذة، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، ط 2 ،2010، ص 33.

2- طه عبد الرحمان، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2000، ص104 ،105.

3-ينظر، محمد سالم محمد الأمين الطبلة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب، بيروت، 2008، ص194.

4 -جاك موشلر- آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص، 298.

5 -عزالدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، دار نهى صفاقس، تونس، ط1 ،2011ص، 132.

6 -الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد العاصر، ص195، الهامش رقم 58.

7 -حسين بن عودة العوايشة، شرح صحيح المفرد للإمام البخاري، المكتبة الإسلامية، دار بن حزم عمان ط1، 2003، ج1، ص09.

8- النساء 102.

9- النساء 101.

10- آل عمران 191.

11- طه 132.

12 -النساء 36.

13- الإسراء 13.23

14- الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، مختصر صحيح المسلم، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 2007، ص 375.

15- لقمان 15.

16 -ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، ط1 ،2006، ص37.

17 -عبد الله صولة نظريات في الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، ط1، 2011، ص 38.

18 -حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الحطاب، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان الأردن، ط1،2014، ص100.

19 -أحمد كروم، الاستدلال في معاني الحروف دراسة في اللغة والأصول، دار الكتب العلمية، بيروت ط1 ،2009، ص153.

20- أبو الحسن علي بن عيسى الرُّماني، معاني الحروف، تح وتع، الشيخ عرفان بن سليم العشا حسُّونة المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2005، ص 196.

21- عزالدين الناجح، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص 57.

22- حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقنا عي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، مرجع سابق، ص 10.

23- الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، مختصر صحيح المسلم، مرجع سابق، ص 303.

24- ينظر، أحمد مصطفى متولي، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية دار ابن الجوزي، القاهرة، ط2005،1، ص1039،1038. 1040.

25- حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، مرجع سابق، ص10

26- ينظر، عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مرجع سابق، ص17.

27- ينظر، م ن، ص32.

28- ينظر، م ن، ص ن.

29- العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 48.

30- م ن، ص ن.

31- م ن، ص 51، الهامش رقم 48.

32- م ن، ص 53.

33- العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص35.

34- صحيح البخاري، ج877/1.

35- مختصر صحيح مسلم، ص 279.